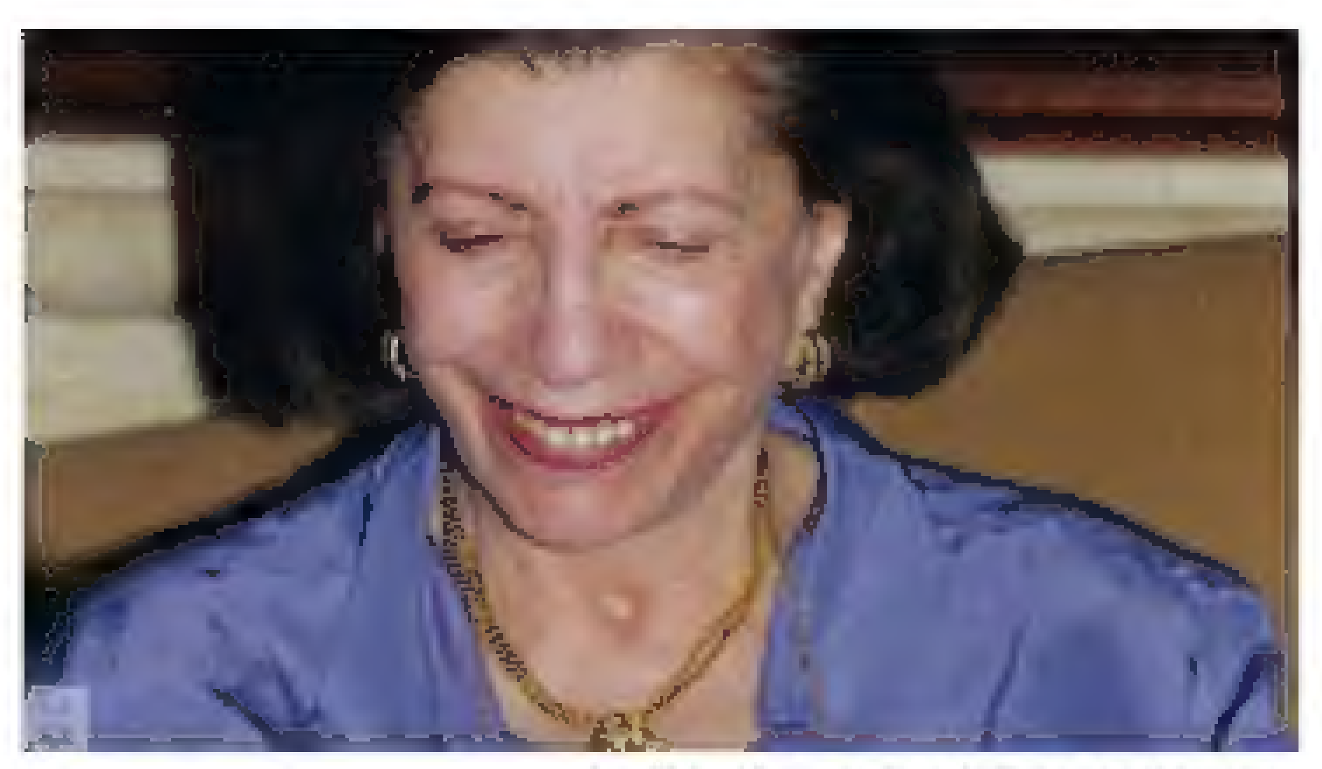
سلمى الخضراء الجيوسي.. مؤرّخة وناقدة للحداثة الشعرية العربية

[illegible]

22 ابريل 2023



انشغلت بمجال النقد في منعطفات الحداثة، ونبّهت إلى ما تعرّف "تحرير الشعر" (العربي الجديد)

الكلام عن إسهامات الشاعرة والناقدة والمترجمة الفلسطينية سلمى الخضراء الجيوسي، التي رحلت عن عالمنا أول أمس الخميس في عمّان، عن خمسة وتسعين عاماً (على اعتبار أنها وُلدت عام 1926) متفرّع ومتداخل بحالة حيث لا يمكن أن تفيه المقالات الصحافية تمام حقه، خصوصاً لو تحدثنا عن شقّه الأكاديمي.

لكن ما يهمّنا في هذه السطور هو أن نحدّد ظاهرة بعينها من تحقيبات الحداثة وتظهر في تناول الجيوسي لها؛ محاولين، في الوقت نفسه، ألا يؤدي هذا التحديد الذي اخترناه إلى تحجيم مسيرة تمتدّ إنتاجها أبعد بكثير مما سنشير إليه. لذا نجدنا ساعين بقراءة صاحبة "الاتجاهات والحركات

... فيما تعرّف إلى دور الحركة الصحافية في ترسيم تيارات الحداثة العربية وتحديد خلفياتها.

وإن كانت الجيوسي في كتابها المذكور أعلاه تعالج هذه الظاهرة تاريخياً، إلا أنها بالمقابل جعلت كلامها بالكثير من النقد وجعله سهولاً لا بدّ من الرجوع إليه لأنها تضيف إلينا - نحن المحصلين في حقل الصحافة الثقافية - إنما إضافة، كونها قراءة على صعيد الأكاديمي والعلم الموثق، ولأننا - إلى جانب القول - استدلال بشكل أو بآخر، لهذا "التراث" القريب الذي أسهمت فيه ولم تقتصر على تلقيه وحسب.

"مجلتان طليعيتان"، تحت هذا العنوان أفردت الناقدة باباً في مؤلّفها المرجعي (2013) متضمناً الوقوف على تجربة مجلتي "الآداب" و"شعر"، مختصرة في مسلكيهما التاريخية/ النقدية على هذين الاسمين اللذين إنظر المهمة في بيئة الزاهر، كمجربتين متكرستين في صدارة المشهد، كلما أعدنا الحديث عن سيرة الحداثة العربية لغة وشعراً.

صنع الجوّ المتمدن شخصيتها المتحررة والمتعطشة للعقل

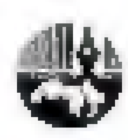
تُرجع الجيوسي المرحلة "الجامعة الأميركية" في بيروت، أثناء اليد على الطائفية الاجتماعية التي كان يعرفها لبنان في تلك المرحلة الفائتة، عديدة، بدءاً من الرخاء الاقتصادي والحريات الاجتماعية، وصولاً إلى التنوع في المؤسسات التعليمية والمتحدة، مما جعلها أول واحد من الفضاءات الفكرية. كلّ ما سبق جعل من بيروت - لا القاهرة - وللمرة الأولى في تاريخ العرب الحديث "محط المفكرين العرب ومكان لقاءاتهم".

على ضوء هذه الأرضية رأت مجلة "الآداب" النور عام 1953 على يد القاص والمترجم سهيل إدريس (1923 - 2008)، والذي تصفه الجيوسي بأنه "عميق الجذور في تراث الثقافة العربية والإسلامية" ويجابه النموذج المتحول بالمرجعيات الكبرى. أول ما لفتت صاحبة "القدس مدينتي" (2003) إلى الإطار الخطابي للمجلة، والتي سيكون لها إسهامات بارزة ضمن افتتاحها كما أنها باشتغال المجلة بـ"الفكر الملتزم والقومية العربية"، ولتعود إلى عدد كانون الثاني/يناير 1955 من "الآداب"، التي ترى فيه "أفضل مجموعة من المقالات في تاريخ العصر الحديث في أطيب الأفكار العربية".

لكنّ الجيوسي تمضي عملية التأريخ في كتابها لتعيده إلى ما شهدته المجلة من تقلبات العنوان والتي من شأنها أن تحيل أي عمل ثقافي إلى طريقة يسمع فيها صدى كلماته، ومن هنا اقترحت المجلة - مرتبة - أن تخصص باباً نقدياً في كلّ عدد جديد، لمقالات ومواد العدد السابق، بالإضافة إلى

المرحلة".

من جهة أخرى، لم تترك الجيوسي في تلك المرحلة تجاربها أحياناً في نشر ما وصفته بـ"السوداوية المتطرفة"، وتراجع مستواها النقدي مع ما أصاب أشعارها من "منطلقات غير علمية ومقالات تكشف عن تحيز واضح أو عدواني ضد شخصية ما، أو أخلاق كاتب وشعراء آخرين".





تتلاقى مع بيروت حيث حملت سلمى الخضراء بعضاً من وعيها الثقافي، والتي أصبحت أبياته أولاً في كنف أسرة مثقفة ومهمومة بالشأن العام، وبتأثير مرجعيين أساسيين في تكوينها هما القدس وعكا، يرتبطا غير مباشر بمسكنا على فهم الحراك المديني في فلسطين، كذلك هو ما ذهبت إليه الباحثة الفلسطينية سنان حسن في كتابها الأخير "المغيبات: النساء والمدن الفلسطينية حتى سنة 1948" (2023)، والذي تناقش فيه "الترحال الريفي" وصورة "فلسطين الفلاحية"، لصالح مرجعية أكثر تمدّناً لم يقطع وجودها إلا الاستيطان الاستعماري المتمثل في نكبة عام 1948.

بهذا يمكننا القول إن الحراك المتمثل هو ما صنع شخصية الجيوسي الجمالية المتحررة والمنفتحة المتعصب، وهذا ما استطاعته في أكثر من محطة خلال مسيرتها الحياتية، ونذكر منها على سبيل المثال أنها عملت في جامعة الخرطوم وأقامت في السودان خلال سنوات الخمسينيات، حيث أتيح لها هناك أن تلتقي بالمفكر محمود محمد طه، وتطّلع على أفكاره حول "الفكرة الجمهورية"، ورغم محاولته أكثر من مرة في أن يكسبها لصالح حركته "الجمهورية"، إلا أنها ظلت محافظة على مسافة نقدية من رؤيته الدينية، مدركة إلى أي مدى يمكن أن يصل، قبل أن يُنفذ بحقه حكم الإعدام عام 1985.

وبالتالي، يصعب أن نصف تجربة الجيوسي مع بيروت بأنها "استثنائية" على غرار ما قرأه الناقد الأميركي روبن كريسويل في تجربة أدونيس، ومن ورائه مجلة "شعر"، وذلك في كتابه "مدينة البدايات: الحداثة الشعرية في بيروت" (2019)، وهذه الصعوبة متأتية من كون تجربة الجيوسي



[illegible]
دون غاية ما، أو فقط من أجل أن تدلل مجلتها بـ"ضرورة الانتهاء" من أمة مستقلة، وأن أول "تعبيراً" كيفما اتفق. عند هذا الحد، وأمام تسارع المتحوّل خلال النصف الثاني من القرن العشرين، يصبح لزاماً تأمّل تراث الجيوسي بوصفه كتاباً حيّاً.

تخلّف رحيلها كلّ جميل فقدناه منذ منتصف القرن العشرين

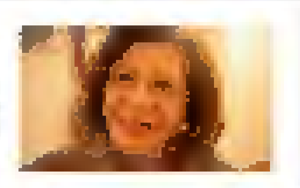
تعود إلى بيروت وتالي مجلّة "شعر" التي رأت النور عام 1957، على يد الشاعر يوسف الخال (1917 – 1987)، وقد شاركت الراحلة في أساس التأسيس العملي للمجلّة كما تشير في كتابها إلى سياسة جريئة لمحرريها لترجمة تجارب وأسماء عالمية، من: إليوت، وعزرا باوند، وسان جون بيرس، على حساب آخرين مثل إلوار وأراغون اللذين ترجما لاحقاً بعد سنوات من التأسيس، حيث ترجم عصام محفوظ قصائد لإلوار في العدد 27 (صيف 1963)، كما ترجمت هيئة تحرير "شعر" لأراغون في العددين 31 و32 (صيف - خريف 1964).

وتذهب سلمى الخضراء الجيوسي إلى أنّ "شعر" قد خلفت "أبولو" (أسسها أحمد زكي أبو شادي عام 1932)، لكنّ الوضع الشعري كان قد تغيّر عمّا كان عليه، وهنا جاء حماس الخال وأصحابه، فكتبت: "عندما ظهرت "شعر" إلى الوجود ألفت أمامها حركة طليعية في أوجها، تشق طريقها نحو رؤية جمالية أكثر وضوحاً، فتبنّت لتصعها وتوجهها، محاولة تنزيه ذلك من دون فكر مذهبي متعصّب أو عاطفية قومانية، أو تجاهل للماضي، أو لما تبقّى من ذلك الإيمان شبه الصوفي بجمال مثالي كان يشكّل جانباً من تراث الكلاسيكيات".

ورغم أنّ الراحلة أفردت في كتابها بتخصيص "شعر" أبواباً للنقد التطبيقي أكثر تحديداً من "الآداب"، خاصة أنّ هذه الأخيرة، وفقاً للجيوسي، راحت تعرض مختلف الطروحات الجمالية عبر "نشر مقالات متضاربة حول الحركة الشعرية، وهذا ما سمح للأفكار النقدية أن تزداد وضوحاً". في المقابل كانت "شعر" تعرض بسخرية وأنفة إلى صفحات رأت أنّها تأخذ مواقف عدائية من المدّ القومي العربي، ولعلّ أبرزها مقال الناقد المصري رجاء النقاش، والذي حمل عنوان "هل الشعر العربي الجديد فلسفة؟" ("الآداب"، آذار/ مارس 1963).

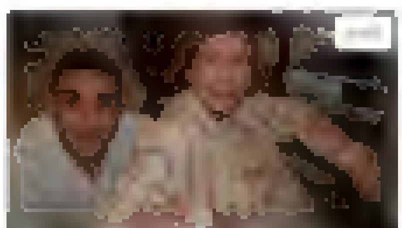
وكما التقطت الجيوسي مواطن الضعف في صفحات "الآداب"، لفتت إلى ما اعترى "شعر" وصيغة تحريرها من ثقة مبالغة وبعض الخروج عن الأدب العربي القديم، كما أنّ "دفاعهم عن اللغة الفصيحة وإصرارهم على جموديتها وعلى حيوية القديم تبدو متناقضة مع الشعر الذي كتبه الخال وأدونيس... فكيف يمكن لهؤلاء الشعراء أن يزعموا في الشعر ما يحتمون؟". تنهي الجيوسي سيرتها ببيان يوسف الخال الذي أعلن فيه توقّف "شعر" عند عدد صيف - خريف 1964، وتُدرج صاحب "البئر المهجورة" بموقف نقدي مركّب ما بين النظر إلى التطور الشعري في سياقه المتنقل بين النهضة والحداثة من جهة، وبين تشكيكه من جهة أخرى، على أنّ بذور الحداثة قد أُلقيت ونمت مع شعراء من خارج نواة "شعر" الأولى كصلاح عبد الصبور وتوفيق صايغ، وحتى بدر شاكر السياب.

وبرحيل سلمى الخضراء الجيوسي تفقد الساحة العربية اسماً بارزاً من جيل الرواد، وشخصية عزّ نظيرها ظلّت مهمومة حتى أيامها الأخيرة بالأدب العربي نقداً وشعراً وترجمة. ولئن تناولنا مشاريعها لتقتضي التحسينات والتشذيبات بالذات، فليس حنيناً إلى ماضٍ قد مضى، وإن كنّا نشعر أن لم نُظهر أسفاً أو تعاملنا باللامبالاة مع ذلك الزمان، بل تذكّراً بمصير حداثتنا المبتورة وحال نقدنا العربي واستقلاليته الناقصة، ومصير مؤسساتنا التي ما زالت تحاول... بعدها. تكفي أن نتساءل إلى أي حدّ يكلف عملاً شخص واحد كل ما سبق.

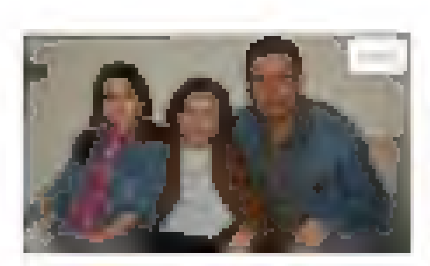


رحيل سلمى الخضراء الجيوسي: اسم مهمّ في حركة الثقافة العربية

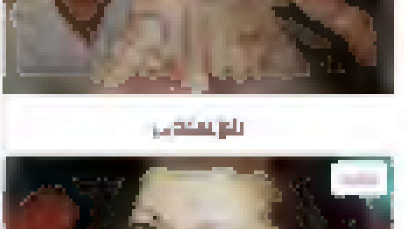
مواد الملف



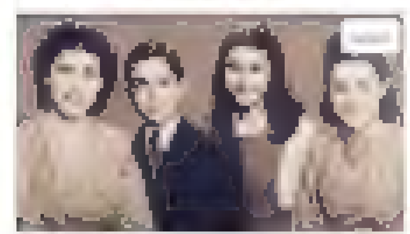
لأنّ منتهاي



[illegible]



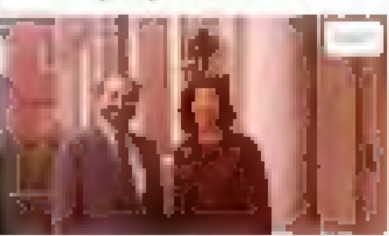
محبرة العرب الثقافية



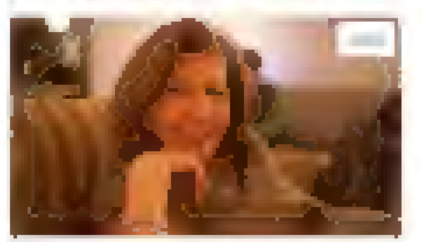
سلمى الخضراء الجيوسي تروي سيرتها



سلمى الخضراء الجيوسي... عقود من الترجمة ونشر الأدب العربي



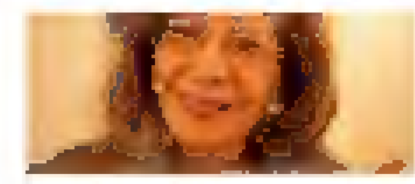
أكتب عن سلمى الخضراء الجيوسي



[illegible]



[illegible]



[illegible]

المزيد

[illegible]

كلمات

عمل | ملف الذكاء الاصطناعي | أدب | [illegible] | [illegible]

[illegible] | [illegible] | [illegible] | [illegible]

[illegible]

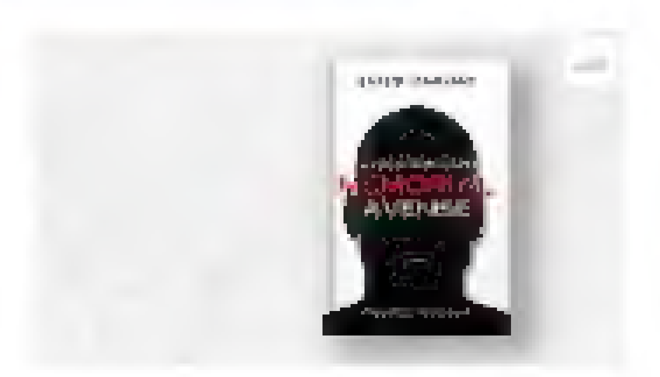
الأكثر مشاهدة

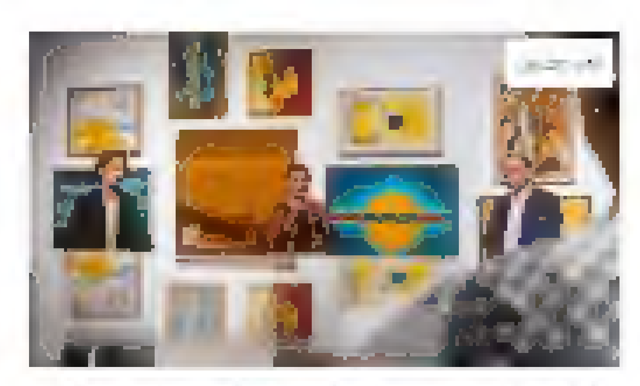
1 [illegible]

2 [illegible]

3 [illegible]

المزيد في ثقافة





[نادية صقلي ومعاصراتها.. ضوء على حداثة بيروت التشكيلية]



[إصدارات.. نظرة أولى]



اشترك الآن في النشرة البريدية ليصلك كل جديد

البريد الإلكتروني